عرض كتاب:

(كل سياسة المسلم محلية)(*)
كيف يرسم السياق الاسلام في السلطة(**)
للمؤلف تشارلز تريب(***)

ترجمة
سميرة ابراهيم عبد الرحمن(****)

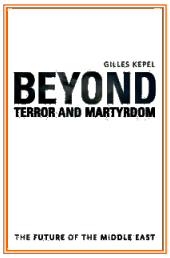

اسم الكتاب: ما بعد الشهادة والارهاب: مستقبل الشرق الاوسط

تأليف: جيلس كيبل

الناشر:مطبعة جامعة هارفرد

الطبعة:الاولى ٢٠٠٨

عدد الصفحات:٣٣٦ ص

سعر النسخة:٢٧,٩٥ دولار

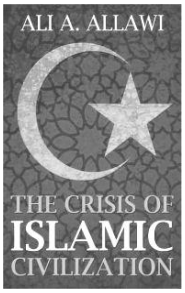

اسم الكتاب: ازمة الحضارة لاسلامية

تأليف:علي عبدالاميرعلاوي

الناشر:مطبعة جامعة يآل

الطبعة:الاولى ٢٠٠٩

عدد الصفحات:٣٠٤ ص

سعر النسخة:٢٧,٥٠ دولار

*** وردت عبارة " كل السياسة محلية" على لسان الرئيس الراحل لمجلس النواب الاميركي، تيب أونيل، ذات مرة . (المترجمة)**

**** العرض منشور على موقع مجلة الفورين افيرز (Foreign Affairs) في عددها الصادر في ايلول /سبتمبر– تشرين الاول/اكتوبر ٢٠٠٩.**

***** تشارلز تريب أستاذ علم السياسة في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن، والخبير في شؤون الشرق الاوسط لا سيما مجال سياسة وتاريخ العراق. نشر في عام ٢٠٠٥ كتاب "صفحات من تاريخ العراق".(المترجمة)**

(****) مركز الدراسات الدوليةّ–جامعة بغداد

يغوص كل من جليس كيبل (*) وعلي علاوي في عمق العلاقة المُقلقة والمُثيرة للمشاكل القائمة بين السلطة والاسلام، ويخلص كلٌ على طريقته، الى ان المسلمين الذين يسعون الى رسم العالم على وفق قيمهم الدينية، يواجهون، على الاغلب، حقيقة قاسية.

كثيراً ما يُذكر مبدأ " الاسلام دين و دولة " ليصف سمة مميزة للاسلام .. والايحاء الذي يقدمه هذا المبدأ هو ان الاسلام دين ذا مهمة سياسية في جوهره ولبه . وان كلاً من اولئك الذين يؤيدون المقولة بحماسة، واولئك الذين ينتابهم القلق إزاءها، يذهبون الى التأكيد على حقيقتها الاساسية ويقترحون حتمية ان يجعلها جميع المسلمين جزءاً من نظرتهم الى العالم . ويذهب البعض بعيداً مدعين بان هذه البديهية تدعو الى شكلٍ بعينه من بنية الدولة أو السلوك السياسي.

ومن نافلة القول، ان العبارة ليست أكثر من مجرد شعار سياسي ... نتاج مصطنع يناسب زمانه، ويتوقف معناها على السياق الذي تُستخدم فيه، مثل أي شعار اخر .هذا الوصف يفرغ الشعار من معناه بالنسبة للمسلمين الذين يؤيدون هذه المقولة . وما يفعله انه يسلط الضوء على حقيقة ان هذه المقولة تعكس الانشغال بسلطة الدولة في العالم الحديث . فالمسلمون المتمسكون بها، مثل الرافضين لها ومثل غير المسل مين، هم نتاج وصناع ذلك العالم الحديث . هذه النقطة جديرة بالُذكر ما دام يميل الكثير من النقاش الدائر في وقتنا الراهن عن دور الاسلام في السياسة العالمية، الى الانتقاص من الفهم السياسي أو يعرض، على الاقل، فهماً ذا بعدٍ واحدٍ لما يحرك الطموح السياسي . وغالباً ما يتم التعامل مع السلوك السياسي للاسلاميين، واحياناً السلوك السياسي للمسلمين جميعهم، بوصفه خصوصية غريبة جداً لا ينطبق عليها التحليل العادي والطبيعي، ولا يمكن تفسيرهذا السلوك الا بوصفه امتداداً لمعتقدهم(الاسلاميين والمسلمين على حد سواء).

وأياً كانت نقطة استدلال المرء، فان العمل الربحي المنفعي غير النزيه للسياسة يمتلك احياناً قوة مغناطيسية تطرح ارضاً ودونما عسرة المُثل العليا والمشاعر النبيلة . وللعب لعبة السياسة، يعني ان يجري التصارع مع تطبيقات السلطة . يتطلب ذلك فهم السبب الكامن وراء ان يتصرف الناس على هذ ا النحو او ذاك ومتى : لماذا يستجيبون لدعوات تحض على القيام بفعلٍ .. مثل الدعوات التي تنادي بها الحركات والاحزاب القومية، والاسلامية، واخرى أياً كانت ..ولماذا يعتقدون ان انشطتهم السياسية تكون ملائمة وموائمة اخلاقياً كذلك عملياً مع اهدافٍ يتصورون انها تستحق الانجاز.

(*) خبير فيما يعرف بالاسلام السياسي، يكتب عن الحركات الاسلامية منذ أكثر من ثلاثة عقود . ويصدر دورياً كتباً تتفاوت في اهتماماتها. (المترجمة)

ولعل الاستقصاء والتمحيص في هذه التساؤلات يكون تحدياً تجريبياً أو نظرياً الا انه يتطلب بالفعل تشخيصاً للمحفزات الدينية، إسلامية كانت ام غيرها . وتساؤلات البحث والاستقصاء المطروحة عن المحفز الديني هي عينها التي تطرح عن محفزات الليبراليين والمحافظين والماركسيين والفاشيستين والقوميين وأي جماعة اخرى تسعى لتضع موضع التطبيق فكرتها المتخيلة عن الحياة السعيدة والفاضلة . اذ ينبغي على المرء الا يتكل على وصف اللاعبين لانفسهم فحسب . وهذا ما يحصل على وجه الدقة والتحديد لمسعى فهم وادراك دور الدين في رسم الحياة السيا سية للمسلمين . فالعديد من العاملين في وسائل الاعلام الغربية بل وحتى الاكاديميين الغربيين قد المحوا واشاروا الى النقاط السياسية الاسلامية الاكثر تطرفاً وراحوا يقترحون ان ذلك هو حقيقة ما ينتهجه الاسلاميو ن أو حقيقة حتى الاسلام.

لذلك، فان الامر الاكثر اطراءاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى ان تصادف كتابين جاديّن يتفاديان هذا المأزق الذي لا يسهل ادراكه: إذ يُرجع جيلس كيبل "السياسة" الى "السياسة الاسلامية". في حين يسبر علي علاوي اغوار العلاقة المثيرة للمشاكل الحاصلة غالباً بين السلطة على الصعيد العالمي وروحانية المعتقدات الاسلامية. ويشير كلا الكتابين، كلُ بطريقته الخاصة، الى ان المسلمين جميعهم الساعين وراء إعادة رسم العالم على وفق المُثل العليا والتعاليم الاسلامية، أياً كان ما يعرفونها بها، تواجههم الحاجة الدنيوية لاخضاع حقيقة قاسية غالباً لرغبتهم.

الدين والسلطة

ان ممارسة السلطة تكون مُلزمة بالزمان والمكان وتعتمد على كفاية اللاعبين السياسيين . تحدد هذه الشروط التأثير السياسي لأي من المُثل العليا الاسلامية . وهو امرٌ يحمل مفارقة كبيرة . والمثال المطروح هنا هو النتائج المختلفة جداً لدعوتي الخميني للثورة في ايران في عام ي ١٩٦٣ و ١٩٧٨ :الاولى أخفقت؛ والثانية أشعلت فتيل ثورة . وفي بعض الحالات، يمكن ان يكون فساد اللاعبين السياسيين السبب وراء خيبة الامل وإعادة لتقييم الالتزامات السياسية . الامر الذي يقود البعض الى ان يولوا ظهورهم للبرنامج السياسي . (ولعل ايران يمكن ان تكون مثالاً بارزاً لمثل هذه الحالة بعد الاضطرابات الحاصلة بشأن الانتخابات الرئاسية اوائل عام (٢٠٠٩)). ولا مراء في ان برنامجاً لا يعمل حقاً .. على نحو يثير الاعجاب أو على نحو مغرٍ .. يعدم الثقة والوسيلة . فلا يعد يستطيع ان يحرك الناس، لانه لا يملك قوة جذبٍ . ولعل هذا يكو ن نتيجة عوامل مختلفة لا علاقة لها بالدين أو الايديولوجية، الا ان هذه العوامل تؤثر بالضرورة على السُبل والطرق التي يفهم بها الناس ويطيعوا دعوات تضع مُثلهم العليا موضع التنفيذ والتطبيق.

ويجذب علاوي الانتباه الى هذه النقطة جذباً حسناً في سرده عن نهوض الايديو لوجيات العلمانية وهيمنتها وافولها والمُشايعين لها في الشرق الاوسط. ولانه عاش خلال السنوات المضطربة للثورة في العراق، فانه شهِد الآفاً من العراقيين يجرون جراً للحزب الشيوعي العراقي والآفاً اخرى راحت تعتقد بان القومية العربية والاشتراكية العربية أو البعث أو احزاب اخرى قد تجلب الحداثة للعراق. ولا يكون امراً مفاجئاً، ان نرى علاوي حذِراً من هذه الالهة الصريعة.

بالنسبة له، فان الحركات السياسية الاسلامية التي ظهرت أصلاً في العراق في خمسينيات القرن العشرين* وحصلت على السلطة بفضل الاحتلال الاميركي عام ٢٠٠٣، لم تأتِ ببساطة من العلمانيين الذين خابت امالهم؛ بل يرى فيها نتاجات لسياسة عراقية مميزة . فتلك الحركات تحدد هويتها، بكل تأكيد، على انها مسلمة .. سنية أو شيعية .. ولكنها تمثل ايضاً معنى ان يكون لاعبين سياسيين في عراق معاصر: أي ان يكون عليهم التعامل مع الحركات الانفصالية الكردية، والتدخل الاجنبي، والاقتصاديات السياسية القائمة على النفط. ولعل موارد الجماعات الاسلامية تكون مختلفة جداً الآن عما كانت عليه اول ظهورها، ناهيك عن التغيير الحاصل في الديموغرافية وبنى السلطة . الا ان التعبيرعن الخيال السياسي لتلك الجماعات مشابه للتعبير عن خيال اسلافها السياسي . ومن ثم فان اهتمامها بالولاءات المجتمعية والجماعية المحددة، والاهمية التي توليها للسيطرة والادارة الاقليمية، وبنائها للتحالفات، وافكارها عن التمثيل، واستخدامها للعنف، واستثمارها بالمال للشبكات الوقفية، وتنافسها على القيادة السياسية كُلها سمات مألوفة في السلوك السياسي . وليست الاحزاب والحركات الاسلامية الواعية لذاتها، اقل من الاحزاب والحركات القومية العلمانية التي تحمل لها شبهاً عائلياً قوياً، فهي مسكونة بماذا تعمل وكيف؟

الموقع، الموقع، الموقع

ان وضع المنظمات الاسلامية و المتعاطفين معها على ارض أي واقع سياسي محلي مصاغ بتواريخ وفئات واهتمامات الناس التي تسعى هذه المنظمات لتعبئتهم هي الموضوعة المركزية لدراسة كيبل (Kepel) الواسعة لحركات سياسية اسلامية مختلفة، وبشكل رئيس في الشرق الاوسط. لا ريب في ان جزءاً مما كان يرومه ويريده هو اظهار كيف ان الحركات التي تُعّرف نفسها معتمدة على قراءاتها للتعاليم الاسلامية تُفهم فهماً حسناً عبر تحليلٍ عن كثب للسياقات التي انجبتها، فهي ليست الاعراض العامة لاسلام "منبعث" أو "متطرف".

---

* لم تظهر كل الاحزاب والحركات السياسية الاسلامية في العراق في خمسينيات القرن العشرين بل في مُدد مختلفة. يُنظر رشيد الخيّون؛ الاحزاب والحركات الدينية في العراق، بغداد، اربيل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩. (المترجمة)

ومن خلال التفحص بعناية للمنظمات الاسلامية من افغانستان الى العر اق، ومن فلسطين الى لبنان، يقدم كيبل سرداً مقنعاً عن اخفاق ما يقول انهما "روايتان كبيرتان" هيمنتا على الفهم العام للاسلام السياسي على مدى العقد الفائت أو نحو ذلك . الاولى، هي رواية "الحرب على الارهاب". قدمت لها إدارة بوش ودائرتها من الايديولوجيين، تضمنت ان ا لجيش الاميركي ربما يمهد الطريق امام ارساء قواعد سياسة ديمقراطية عبر الشرق الاوسط . والثانية، هي الهدف والصورة في مرآة الاولى، اذاعها ونشرها أسامة بن لادن وبده اليمنى ايمن الظواهري، وتقضي بان الجهاد المُوجه ضد "العدو البعيد " هو السبيل الافضل لاقامة الحكم الا سلامي في الدول ذات الاغلبية المسلمة وأي مكان اخر . وكما يشير كيبل فان النظريتين وهمٌ وضلالٌ ، وتمتلكان اهدافاً غير مُرجحة الحدوث، واصابتا ضرراً هائلاً .. ضررٌ حض على مقاومة محلية، وترك الولايات المتحدة والقاعدة عاجزتين عن التقدم في سياسة المكان المتصلبة، تواجهان النقد والائتلافات المتشظية والعزلة.

وبعيداً عن التغيّر الاخلاقي الذي حضت عليه هاتان الروايتان بين المسلمين وغير المسلمين على حدٍ سواء، ثمة مشكلة اخرى، كما يشير كيبل، وهي ابتعادهما عن حقيقة المسلم ين وتنوع التجارب. وتجعل الروايتين انفتا الذكر من الدين المجرد مادياً وتنزعان عنه روحيته ما دامتا تحولان السلوك السياسي الى مجرد انعكاسٍ لارتباط الفرد بمجموعة سرمدية من الفروض تدعى "الاسلام" كما لو انهما ابتعدتا عن السياقات التي تقود فيها مبادئ المسلم وهوياته اللاعبين السياسيين. وتقترحان ايضا بان سياسية المسلمين يمكن..أو، كما في حال أسامة بن لادن، يتحتم ان تُفهم فيما يتعلق بايمانهم. مع ذلك، تجيء الحقيقة أكثر تعقيداً وتفنيداً واشتراطاً مما تسمح به هاتان الروايتان. ولا يستطع احد ان يفسر لماذا في زمن ومكان معينين تختار مجموعة معينة من المسلمين الفروض التي تقوم به ا من تعاليم الاسلام الضخمة والغنية لتقود سلوكها السياسي . كما لا يستطيع احد ما ان يعلل لماذا مجاميعاً ان اخرى من المسلمين تعمل على وفق فهم مختلف جداً عن الاسلام أو لماذا ما زال يرى اخرون اشتراكهم بالسلطة على انه انعكاس لضعف ارتباطهم بمعتقداتهم الدينية، ما لم نقل انعدامه.

ما يفسر هذه الاختلافات هو السياق السياسي . يدرك سرد كيبل (Kepel) اختلاف المسلمين ليس في الشرق الاوسط وشمال افريقيا وجنوب اسيا فحسب بل وفي اوروبا الغربية حيث حضت سلسلة من حوادث العنف والمواجهات الرمزية في بحر العقد المنصرم على حديث عن تعارض اساسي للقيم وعن "صدام للحضارات". وتوضح نظرة خاطفة على الواقع السياسي بان معظم النزاعات المتضمنة المهاجرين المسلمين في الدانمارك وفرنسا وهولندا والمملكة المتحدة، على سبيل

المثال، تعزى الى السياسات التي تنتهجها تلك الدول أكثر مما تعزى الى الهويات الاسلاميۃ او حتى الى ميول المتشددين الاسلاميين . بالنسبة لكيبل، فان السياسة التي تتحاشى الاندماج في هولندا ("الدعائمية" التي ترى في الجاليات الدينية دعائماً منفصلة تساعد على توحيد الجمهورية الهولندية) ونظيرتها في المملكة المتحدة ("التعددية الثقافية" حيث تسمح الدولة للناس ذووي الثقافات المختلفة بتنظيم شؤونهم الخاصة) قد أوجدت ارضية خصبة لنمو المشاعر الاسلامية السياسية المتطرفة بين المهاجرين المسلمين في هذين البلدين.

لا تثريب في ان لهذين المنهجين جذور في ماضي هولندا والمملكة المتحدة الاستعماري : فعبر البحار، فضل المستعمرون الهولنديون والبريطانيون الحكم حكماً مباشراً وراحوا يستغلون القادة المحليين لضمان النظام محلياً. وفي هولندا والمملكة المتحدة اليوم، حضت السياسات، التي ترسمها هذه التقاليد، السلطات على ان ترفع يدها حينما يتعلق الامر بجالياتها المسلمة .. على الاقل الى ان يتعرض امن الدولة الى التهديد . عند تلك النقطة، تتخذ الدولة اجراءات خرقاء يفسرها العديد من المسلمين على انها تمييز في المعاملة.

ويعرض كيبل انموذج فرنسا الذي يحمل مفارقة والتي ما فتئت تنتهج سياسات واضحة واقتحامية، بدرجة كبيرة وفقاً للبعض، ومصممة لفرض العلمانية على الحياة العامة . ويُسلّم فعلاً بان سياسة "الاستيعاب" الفرنسية كانت اتفاقاً حسناً لدمج المهاجرين المسلمين مدنياً أكثر منه اقتصادياً .. ومن ثم فان سياسة التشاحن المتضمنة اعمال شغب يتورط فيها مواطنو ن فرنسيون من اصول مسلمة هي التي تُقدح شرارتها دورياً . ولكن، كما راح سرد كيبل يوضح بان ما يجري من اعمال شغب يُفهم، على نحو افضل، على انه تمرد شباب فرنسيين جريئين وعاطلين عن العمل ومهمشين يعيشون في ضواحي موحشة، بدلاً من أي شئ اخر بعيداً عن ان يشبه سياسة اسلامية.

والامرّ الذي ما زال مطروحاً للنقاش هو اذا ما كانت هذه الاختلافات تقدم تفسيراً رئيساً للتنوع في وجهات النظر السياسية بين جاليات اوروبا من المهاجرين المسلمين . فالبعض يجادل، لوهلة، بان هذا التفسير يناسب اكثر ارتباط هذه الجاليات بسياسات بلدانها الاصل . مع ذلك، يكون تحليل كيبل ذا قيمة في ان يجعل المشكلة تق ود الى امعان النظر في السياسات الميكروووية للجماعات المختلفة . إذ يبين ان المرء كلما القى نظرة عن كثب كلما بات السردان الكبيران عن الاسلام والحضارة انفا الذكر أكثرعدم صلةً بالموضوع أو اثارة للقلق.

خصخصة الاسلام

يلازم كتاب علاوي عميق التفكير وواسع المعرفة، نوعاً من العمومية التي يُحاذرها كيبل .

إذ يكتب علاوي عن الاسلام بوصفه ايمان اً على مرحلة التاريخ . ويقترح عنوان الكتاب ان مدار اهتمامه المركزي هو "ازمة الحضارة الاسلامية ". ومن خلال هذا، يسلط الضوء على عدد من الامور منها، على نحو أساسي، تشظي السلطة، وضياع الم راجع الثقافية، والاختلاف بين الروحي والمادي في سلوك المسلمين. وعند اجتماعها معاً، فان هذه الانشقاقات تكون قد حرمت الاسلام من نوع من الاستقلال ومحرك التجديد الذاتي الذي يراه علاوي في الحضارات الاخرى (مثل الصين او الغرب) وجعلت الاسلام أكثر عرضة لهيمنة قوى العولمة سواء كانت حكومات قوية أو الرأسمالية أو هيمنات ثقافية. ومن وجهة نظر علاوي، بات الاسلام مخصخصاً وهو اداة للايمان الداخلي لا يشبه على الاطلاق إطار الحياة العامة (دين ودولة) كما كان على مر التاريخ وينبغي ان يكون . واذا ما تحولنا الى كيبل فان خصخصة الدين هي الوصفة والطريق لتحقيق التآلف الاجتماعي، وهي هدف الدولة العلمانية. وبالنسبة لعلاوي، فان خصخصة الاسلام هي بداية النهاية للحضارة التي يمثلها.

يضع هذا الموقف علاوي في مواجهة امرٍ يحمل مفارقة . فمن ناحية، يناشد المسلمين لإعادة الارتباط والتمسك بجوهر الاسلام الروحي المؤثر، وإعادة ارساء قواعد الاسلام بوصفه لاعباً كبيراً في التاريخ العالمي. ومن ناحية اخرى، يكون حذِراً جداً . فقد خاب ظنه بما شاهده من زحف الاسلاميين السياسيين لاستخدام أية وسيلة ممكنة لتحقيق منفعة سياسية .. الكسب غير المشروع، والفساد، والعنف. ومن ثم يؤول الامر الى ان يعزل الاسلاميون السياسيون انفسهم عن " منابع القيم الاسلامية". وتشمل مواضع غضبه منظمات مثل القاعدة والاحزاب الاسلامية في العراق التي يرى فيها اعراض أزمة الحضارة الاسلامية بدلاً من ان تكون جزء اً من الحل . كما يرى، ورأيه هو الصواب، ان هذه ا لجماعات تمارس سياسات اولئك الذين تناضل ضدهم بكل قسوتها ولا تعكس القيم الروحية الاسلامية الصميمية.

والتساؤل المطروح هو كيف يمكن للمرء التأثير في النظام القائم دون ان يخضع، بطريقة ما، لمنطق الممارسات السياسية؟ الحقيقة المؤلمة هي انه مهما كان سمو المُثل وروح انيتها .. والاسلام ليس اقل من أي دين اخر يمكن ان يقدم مجموعة رائعة من هذه المُثل .. سيحتاج ابطالها الى الانغماس في سياسة المكان بغية تحقيقها . ولعل ثمة طرق عدة للقيام بذلك . و تُعّد الخلافات بشأن أي الطرق افضل، امراً لا مفر منه . ولكن تقع في صميم هذه المهمة ا لاحجية السياسية القديمة عن كيفية المشاركة مشاركة فاعلة في بنية السلطة القائمة دون ان تتعرض مُثل المرء الجوهرية للشبهة. ويجعل التفكير بهذا التساؤل المرء يدرك ان الخطاب السياسي هو النقيض الحاد للخطاب الحضاري، حتى لو أُستخدِم الاخير احياناً استخداماً مناظراً ومجادلاً في الطروحات

السياسية. وكلما نظر المرء عن كثب الى وفرة الامال والاهواء والمخاوف والفعاليات التي تشكل الحياة السياسية، كلما كان أعسر ان يصّح مصطلح رئيسيّ وتجانسيّ وجوهريّ * مثل "الحضارة" في أي نظام سياسي.

الحداثة ونقمتها

قد لا يكون مفاجئاً كثيراً تحول علاوي، في احسن احواله، صوب الخاص . إذ تهتم بعض فقرات كتابه الأكثر تأثيراً وقوة بفساد الحكومات في الشرق الاوسط في فقرته البارزة " مدن الخليج العربي الفاسدة" التي اعتنقت المادية و"الحداثة المستبدة" . تُشكل هذه الاوجه القاتمة للعولمة حقيقة العالم المعاصر ما دام سكنه وأسس بنيانه المسلمون وغير المسلمين على حد سواء. بمعنى اخر، لا يدور الكثير من قلق علاوي حقيقةً عن الاسلام بوصفه دين أو حتى عن الاسلام بوصفه حضارة، بل عما كان وما انفك يجري للمسلمين . إذ كانت لديهم ردود فعل مختلفة إزاء الحداثة، فاوجدوا بمرور الوقت سُبلاً جديدة ليكونوا مسلمين . ولعل بعض هذه الردود تصبح الهاماً للملايين سواء أكانت هذه الردود سلمية أو عنيفة ، مُتكيفة او رفضية . ولكن حتى تل ك الردود سوف لن تنتشر بسهولة ومرد الامر الى المجاهرة بايمان المسلمين . واذا ما انتشرت فعلاً فان ذلك سيعزى الى انها بتساعد المسلمين على فهم السلطة بكل اشكالها.

* أي ان يقدم الماهية او الجوهر على الوجود. (المترجمة)